بلاغة اسم العلم

في " نساء آل الرندي" (1)

محمد العماري

«الأسماء طريقة لترتيب العالم وتقسيمه، لتوزيعه وامتلاكه للدخول في العالم أو الخروج منه... للوجود في قلبه أو على هامشه «(2) الميلودي شغموم

«تنبغي مساءلة اسم العلم دائما بعناية، لأنه -إذا جاز القول- أمير الدوال. فإيحاءاته الاجتماعية والرمزية غنية «(3) رولان بارط

0- توطئة : يلعب اسم العلم دورا هاما في اللغات الطبيعية. فهو يشغل فيها مساحة لا تقل شساعة عن المساحة التي تشغلها المفردات الأخرى؛ ولا أدل على ذلك من أن قاموس الأعلام في لغة من اللغات لا يقل حجما عن بقية الوحدات المعجمية. ثم إن اسم العلم يلعب وظيفة أساسية في المتخيل الأدبي والفني بشكل عام. وهي وظيفة تمتد من الإحالة المرجعية وخلق أثر الواقع، إلى إثارة الغرابة وبلورة الأفكار والمشاعر والذكريات. وإذا كان اسم العلم قد شكل في العقود الأخيرة مدار اهتمام العديد من العلوم والمعارف كالانتروبولوجيا والمنطق واللسانيات، وإذا كان المناطقة واللسانيون اهتموا بدلالته، فإن ما يهم الدارس الأدبي فيه هو الكيفية التي أصبح بها اسم العلم حاملا للدلالة. ذلك بأن التسمية في المتخيل الأدبي لا تخضع لنفس القواعد والإكراهات التي تخضع لها في الحياة الاجتماعية الواقعية. فإذا كانت السمة التعريفية الجوهرية في اسم العلم هي تخصيص وتعيين مرجع متفرد، فإن هذا المرجع في العالم الروائي لا وجود له إلا باعتباره كائنا تخييليا. أو " كائنا من ورق"، على حد تعبير بارط. وهو ما يترتب عنه أن كاتب الرواية يملك قدرا أكبر من الحرية والمبادرة في انتقاء أسماء شخصياته وصياغتها، من ذلك الذي تتيحه الحالة المدنية (4). فهو يستطيع اللجوء إلى الأسماء المتداولة في الواقع، لكنه يستطيع كذلك توليد أسمائه الخاصة، جاعلا من التسمية نسقا سميائيا حافلا بالإيحاءات والرموز.

إن الأسئلة التي ستوجه بحثنا هذا هي : ما الوظائف التي يضطلع بها اسم العلم في رواية "نساء آل الرندي"؟ وإلى أي مدى يساهم في بناء المتخيل في هذه الرواية وتنظيمه وإغناء شحنته الرمزية

وفتحها على أنساق الثقافة والتاريخ ؟ هل يمكن الحديث عن أسلوبية لاسم العلم لدى الكاتب، أي مجموعة من القوانين التي تحكم اختياراته وصياغته لهذا الاسم ؟ إلى أي مدى يساهم اسم العلم في الاقتصاد العام للسرد في الرواية ؟ و قبل الإجابة عن هذه الأسئلة، سنحاول الإجابة عن سؤال أساسي هو : لماذا اسم العلم في رواية " آل الرندي " للميلودي شغموم وليس في رواية غيره ؟ ثم لماذا هذه الرواية وليس رواية أخرى من رواياته ؟

أما عن السؤال الأول، فالميلودي شغموم من الكتاب الروائيين المغاربة الذين نحوا في تأسيس تجربة روائية متميزة حققت لنفسها الاستمرار والتراكم. فقد أصدر هذا الكاتب على مدى العقود الثلاثة الأخيرة تسعة أعمال إبداعية ما بين رواية ومجموعة قصصية. وهي أعمال تحاول أن تبلور مشروعا روائيا منفتحا على التجريب، باحثا عن شكل سردي جدلي، تنصهر فيه العناصر السردية الحداثية بالعناصر التراثية وبمكونات الثقافة الشعبية. ولعل هذا هو ما جعل التراكم الإبداعي عنده ليس تراكما كميا، بقدر ما هو تراكم تحكمه القطائع والقفزات، يقوم على التجاوز لا على التكرار والاجترار. فكل رواية من رواياته تشكل تجربة متفردة وسؤالا عن أفق جديد للكتابة. غير أن منطق التجاوز هذا لا ينفي الاستمرار والامتداد. ذلك بأن هناك خيوطا رابطة بين تلك التجارب تضمن للمشروع وحدته وتماسكه. ولعل أبرز هذه الخيوط الكيفية التي يوظف بها اسم العلم، سواء باعتباره تقنية سردية لتشخيص السرد وتفضيته وتزمينه، أو باعتباره ثيمة محورية تظهر في رواياته (5).

أما عن سبب اختيارنا لرواية "آل الرندي" فيعود إلى أنها آخر رواية تصدر للكاتب*، من جهة، وإلى الحضور البارز لاسم العلم فيها من جهة أخرى. فعنوانها كما يظهر يتضمن اسما علما أو بالأحرى لقبا " آل الرندي". وهو لقب يحيل بدوره على اسم مكان معروف في الثقافة والتاريخ العربيين هو" رندة"، المدينة الأندلسية التي ينتمي إليها الشاعر أبو البقاء الرندي، المعروف بمرثيته الشهيرة للأندلس.

ثم إنه بعد قراءة الرواية يتأكد أنها رواية" اسم العلم" بامتياز. فهي تتضمن عددا هائلا من أسماء المفكرين والفلاسفة والأولياء الصالحين والأنبياء والرحالة والمستكشفين والشخصيات المتخيلة والأماكن الجغرافية ... والسؤال الذي يلح في هذا السياق هو : ما هي أصناف اسم العلم الحاضرة في الرواية؟ كيف تشتغل ؟ ما وظائفها ؟

1- نحو تنميط لاسم العلم في "نساء آل الرندي"

سبقت الإشارة إلى أن الرواية حافلة بأسماء الأعلام. وقلنا إنها تشمل الإنسان والأماكن الجغرافية من مدن وقرى وبحار وقارات ودول وأشياء (أنواع من السيارات مثلا ...) وأزمنة (شهور عربية

وأجنبية) ويمكن تنظيم هذا الخليط في لحظة أولى بتوزيعه على أقطاب السرد الأساسية " الأشخاص/الذوات، المكان/الزمان، ثم الأشياء/المواضيع، التي يمكن إلحاقها بالقطب الأول (6)

1- 1 أعلام الشخصيات في "نساء آل الرندي"

ويمكن التمييز داخل هذا القطب بين الأسماء التاريخية، أي أسماء شخصيات لها وجود تاريخي واقعي، والأسماء المتخيلة التي ابتدعها المؤلف أو استمدها من المتخيل الإنساني سواء أكان فنيا أم أسطوريا أو استعارها من النص الديني... ويمكن تصنيف هذه الشخصيات كالآتي :

شخصيات واقعية/تاريخية			شخصيات دينية		شخصيات متخيلة	
مفكرون	رحالة	قادة	أنبياء	أولياء	ء آخرون	أسطورية أدبية /سينمائية
ألتوسير	كريستوف	هتلر	يوسف	قابيل	عوليس	زورو
كرامشي	كولومبوس	هولاكو	المسيح	هابيل	بتراك؛	فرنكنشتاين
نيتشه	فاسكو دي كاما			مريم		بنلوب
هنري بوانكاري						
ميشال فوكو						
		المجاهد الخطابي		سيدي يوسف بن علي		
		عبد الله بين ياسين		سيدي محمد الجزولي		
				أحمد التراب	مولاي ابراهيم	

الشخصيات المستعارة في "نساء آل الرندي"

نخلص من هذا الجرد إلى أن رواية " "نساء آل الرندي"" قد وظفت أسماء من مختلف الآفاق الثقافية والتاريخية تجمع بين المحلي والعالمي، المقدس والمدنس، الواقعي والمتخيل وعلى الرغم من أن هذه الشخصيات لا تلعب وظيفة أساسية في السرد، فإنها تساهم في تدعيم الوظيفة المرجعية.

ونجد إلى جانب هذه الشخصيات التاريخية شخصيات أخرى من خلق مخيلة الكاتب. وهذه هي التي تعكس في رأينا اختيارات الكاتب، وتبرز أسلوبه الخاص في توليد اسم العلم. ونحن سنصنف

هذه الأسماء بناء على معايير تتصل بتكوينها الشكلي أي بدالها خلافا للشخصيات الأولى التي صنفناها اعتمادا على معايير تتصل بالمدلول. ويمكن إجمال هذا التصنيف في اللوحة الآتية :

اسم يتضمن اسما ولقبا أو أحدهما	أسماء دالة نسبة إلى المكان	أسماء دالة على مهنة	أسماء صيغت إلى الأصل	أسماء فيها على نسبة الطبيعة	أسماء تحيل نسبة إلى على مخلوقات خارقة
المكي الذهبي	آل الرندي	حمان	-	ولد النية	ساط الرعد - العفريت
عبد السلام		السرجان		ولد حادة	عبد الواد
الوردي	الجبلي	عباس			
العايدي	أحمد	الفرناتشي			
صالح	السوسي	بوجمعة الكسال			
ابراهيم	المعطي				
هادي	الدكالي	الحسين البقال			
شيبوب		حميدة النادل			
نزهة	رقية السوسية			عائشة الضاية	لالا ميرة
السعدية	حادة				
حليمة	الدكالية				
زينب غزلان					

أسماء الشخصيات التي ابتدعها الكاتب من خياله

يتبدى من خلال هذا الجدول أن الكاتب يوظف عدة تقنيات لتوليد اسم العلم، تمتد من استعارة الاسماءالمتداولة في الواقع (الوردي، الذهبي) التي تذكرنا بنثرية سجلات الحالة المدنية، إلى توليد أسماء انطلاقا من النسبة إلى المكان أو المهنة (تكثيف لدور ثيمي)، أو عنصر من عناصر الطبيعة أو كائنات خرافية (العفريت، لالاميرة، وهي تشتغل كتكثيف لدور عاملي : المساعد أوالمعيق) والملاحظ هو أن النسبة إلى المهنة والأصل لا تخص سوى الذكور، مما يحيل على طبيعة المجتمع الذي يصوره النص، أي مجتمع أبيسي ذكوري، وهو أمر يتناقض مع عنوان النص الذي يدفع إلى افتراض أن النساء هن اللواتي سيضطلعن بدور بطلات الحكاية الفاعلات. وبعبارة أخرى، إن الكاتب يخيب أفق

انتظارنا على هذا المستوى، لاسيما وأننا اعتدنا في الرواية التقليدية على أن يكون الاسم الحاضر في العنوان هو اسم البطل الرئيسي.

1 - 2 أعلام الأمكنة في "نساء آل الرندي"

تحفل رواية آل الرندي بذكر أسماء الأمكنة وهي أمكنة واقعية جغرافية تنتمي إلى مختلف القارات (إفريقيا، أوروبا، أمريكا، آسيا)(7). ولعل ما يبرر هذا الغنى» في أسماء الأمكنة هو توظيف الرواية على شكل الرحلة. ذلك أن القارئ يجد فيها رحلتين : رحلة أولى (أو بالأحرى هجرة) علي الرندي وولد النية من البيضاء باتجاه أوروبا وبالضبط اسبانيا؛ ثم رحلة الشريف الحجاج نحو شمال المغرب. والحقيقة أن هذه الأمكنة تلعب وظائف متعددة، لعل أبرزها هو الترسيخ الواقعي للخطاب وخلق أثر الواقع. فهي تضفي على الحكاية طابع الواقعية، وتضمن للنص - من ثم - المقروئية والوضوح، خالقة ضربا من التوازن بين طرائق السرد الحداثية التي توظفها الرواية القائمة على إيراد متواليات سردية غير منتظمة، ومحكيات فرعية شذرية، توهم بأنها مقحمة في خطية السرد، وتحتم على القارئ أن يعيد ترتيبها ويعثر على العلاقات الخفية بينها؛ ثم بين هذه العلامات المكانية التي تشكل جزءا من تجربته اليومية ومن مخزونه الثقافي العام.

غير أن هذه الأمكنة تقوم أيضا بدور وظيفي داخل الحكاية. فهي تعكس مظاهر الصراع بين الشخصيات وتجسد علاقات القوة بينها. ولإبراز هذه الوظيفة سنقصر حديثنا على مكانين اثنين هما : الدار البيضاء وأوروبا.

تشكل الدار البيضاء في الرواية مكانا متناقضا : فهو جاذب لما في هامشه، أي سكان البادية (مثل حميدة الرندي) الذين ينخدعون بمظاهره البراقة وواجهاته الماكرة ؛ لكنه أيضا مكان طارد للفئات المحرومة بخاصة، بما أنه يعمق من شعورهم بالحرمان، ولا يحقق لهم أسباب العيش الكريم. وهذا ما جعل على الرندي وولد النية يفكران في " الحريك" ، ويوثران المجازفة بحياتهما، على المكوث في هذا المكان. يقول علي الرندي : « تسكعنا النهار كله في شوارع العاصمة الاقتصادية، وتصيدنا كل مناسبة لانتقاد هذا " التخلف" الذي يهيمن على هذه المدينة ، " الدار الكحلة "، التي أصبحت قبرا للبسطاء والمقهورين، نؤدي الثمن، كل الثمن، بلا أن نحصل على البضاعة.

- سترى الحضارة حقا هناك أي في أوروبا] ردد ولد النية] مرات عديدة « (8)

هكذا تغدو الدار البيضاء رمزا لنظام اجتماعي واقتصادي فاسد، نظام قائم على الإقصاء والتهميش. إنها امتداد لشخصية يوسف بوسبعة الجشع المتسلط الذي يرأس مجلس بلديتها. ويتجلى هذا

التوافق بين الشخصية والمدينة في تشابههما في الاسم. فقد وسمت الدار البيضاء في الرواية ب " سبع شوانط". ورد في مطلع الرواية : « كازابلانكا،الكافرة بالله! والشالياني أسيدي! ملتقى الشوارع السبعة. تبدل المكان بشكل موغل في التجريد الحضاري : رومبوان تكعيبية. ومازال الناس يقولون سبع شوانط « (9) فالقاسم المشترك بين يوسف الرندي والدار البيضاء هو العدد سبعة. وهو عدد يجمع بين المقدس والمدنس، كما ورد في الرواية « اسم سحري قدسي، سبع شوانط، سبعة رجال، سبعة أيام، سبع سماوات، رجال الله السبعة... فأين السحري، القدسي في هذه الدارالكحلة، بل في ما كان يسمى سبع شوانط؟

كل هذه البنايات، هذه الفضاءات الجديدة لم ترث سوى الجانب المدنس، الشيطاني من السحري، من القدسي، برغم أنف الجدل في ارتباط " السحري بالشيطاني " و" القدسي بالمدنس " جدل لا يرحم، لا ينفصم منذ بداية الخليقة، منذ بداية التمدن، إلا في هذه الدارالكحلة « (10)

إن الفضاء هنا يشتغل كتكثيف للدورين العاملي والثيمي اللذين تضطلع بهما شخصية بوسبعة، كما أنه يشتغل كاستباق للمسلك السردي الذي ستنهجه هذه الشخصية، فيوجه بذلك القارئ ويمنحه المؤشرات التي ستساعده في فهم النص وتأويله. وينبغي الانتباه إلى الكيفية التي يحور بها السارد، وكذا بعض الشخصيات، اسم هذه المدينة، محاولين بذلك فضح جوهرها الذي يخفيه اسمها " الدار البيضاء ". وبذلك فهم يسمونها " الدار الكحلة " (أي السوداء)، تعبيرا عن موقفهم من الحياة فيها، القائمة على الميز والتهميش والإقصاء.

أما عن أروبا، فإنها تشتغل كقطب جاذب، يمارس على بعض الشخصيات (علي الرندي وولد النية) إغراء خاصا يجعلها تتحدى كل الصعوبات والعراقيل في سبيل البلوغ إليه، حتى ولو كلفها ذلك حياتها. والواقع أن الرواية تقدم لنا صورتين متضاربتين عن أوربا، يتناسبان مع لحظتين تاريخيتين متقابلتين : لحظة الماضي، أيام اقتحم المسلمون بلاد الأندلس، فدخلوها فاتحين، وأسسوا فيها حضارة رفيعة، ليطردوا منها بعد أن دب فيهم الضعف. وتحيل الرواية على أوروبا في هذه المرحلة بأسماء مثل " الأندلس" و" الرندة " و" قرطبة "و" غرناطة". ثم هناك اللحظة الثانية التي هي الحاضر، اللحظة التي نجد فيها الشخصيات تحاول التسلل إلى اسبانيا، ليس بغرض الفتح، وإنما طلبا للعيش الكريم الذي لم تفلح بلدانهم في توفيره.

وخلاصة القول إن رواية " آل الرندي " غنية بالإشارات المكانية الجغرافية، وهي إشارات وظيفية ما دامت تجد دورها في الاقتصاد العام للسرد، لكنها تلعب كذلك وظيفة رمزية، تفتح النص

على محيطه النصي الثقافي والتاريخي والإيديولوجي. وهو ما يستلزم من القارئ كفاية ثقافية واسعة.

2- وظائف علم الشخصية في "نساء آل الرندي "

يلعب اسم العلم دورا هاما في الرواية كما في الحياة. فهو يسمح بتعيين الشخصيات والتمييز بينها. لكنه يسمح كذلك بتصنيفها وإدراك العلاقات التي تجمع بينها. وتتجلى هذه القدرة التصنيفية على الخصوص في إبراز العلاقات الدموية والعائلية والعشائرية القائمة بين الشخصيات، ورسم الحدود بين أشكال التبادل الاجتماعي المباحة، والأشكال المحرمة (شأن الزواج). والواقع أن هذه القضية تشكل محركا أساسيا للسرد في هذه الرواية. فهي تقدم لنا عالما اختلت قيمه واندثرت موجهاته، مجتمعا فقد الثوابت التي تحفظ توازنه ونظامه. وهو أمر يظهر بوضوح في اسم العلم. فعندما كان هذا المجتمع متوازنا، كانت الأسماء فيه تتوارث جيلا عن جيل، مؤكدة بذلك الاستمرار والامتداد في الهوية. ورد في تعريف الحجاج صاحب الرحلة : « الحجاج بن عبد الله بن أحمد بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن ابراهيم الرندي بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن ابراهيم العروفي الذي ينتهي نسبه إلى عبد الله السوسي التارودانتي الركجوني ...» (11). إن الأسماء تتوالى هنا حسب دورة ثابتة، وحسب نسق يمكن التوقع بمتتالياته. لكن بعد دخول الاستعمار إلى المغرب، وما صاحب ذلك من خلخلة لبنى المجتمع الطبقية والاجتماعية والخلقية، تخلت الأسماء عن وظيفتها التصنيفية، مما نتج عنه اختلال الأنساب والتباس علامات الهوية والانتماء. فهذا حميدة يرفض أبوه أن يعترف به لأنه أنجبه من خادم (جارية). ويقول عباس الفرناتشي عن أصله: « لا أعرف أحدا من أهلي، ولا أعرف إن كان لي أهل أو لا، بل إنني لا أعرف أين ولدت. لقد وجدتني حين بدأت أعي في هذا الحمام، وكأن لا ماضي لي، وكأنني ولدت هنا « (12) هكذا تبدو هذه الكائنات مفصولة عن جذورها الجينيالوجية، تعيش على هامش المجتمع، وتجد صعوبة في الاندماج فيه.

إن غياب الاسم الذي يشكل ذاكرة جينيالوجية يحملها الفرد معه أينما ذهب، سيصبح قوة محركة للأحداث في هذه الرواية. فهو المسؤول عن الأزمات التي تعيشها الشخصيات. فرقية السوسية ستنجب بوسبعة من علاقة زواج محرمة، إذ ستكتشف بعد الوضع أن بينها وبين زوجها علاقة تحرم زواجهما، مما سيدعوها إلى التخلي عن الصبي في ضريح مولاي ابراهيم. يقول يوسف عن نفسه : «أنشأ الثاني أي جده من أبيه] الرباط وأصبح الصديقان أي جده من أبيه وجده من أمه] حليفين في خدمة الخير والحرية. لم يتم بين الأسرتين أي زواج. هناك وصية مكتوبة تحرم مثل هذا الزواج وموقعة

من طرف الجدين الكبيرين. فقد كانت الأسرتان عائلة واحدة اختلطت فيها الروابط الرمزية وقويت فحرمت فيها رابطة الدم» (13)

وسيتبنى الطفل حميدة والسعدية. وكان أول إجراء قام به حميدة بعد أن أبرم مع الطفل ميثاق التبني، هو أنه أطلق عليه اسم " يوسف" .، وكأن الاسم هو عنوان الإدماج الاجتماعي في الأسرة.وإذا كان لكل مجتمع شفرته المنظمة لتداول الأسماء، فإن الرواية تقدم لنا هذه الشفرة مضطربة ومختلة. ويتجلى هذا الاختلال في المظاهر التالية :

- يتم تداول الاسم العائلي بخاصة في معظم المجتمعات بناء على علاقات الدم، وذلك حفاظا على هوية السلالة، وتلافيا لعلاقات الزواج المحرمة (الزواج بين المحارم). غير أننا نجد تداول الاسم في هذه الرواية يخرق هذه القاعدة. ويتخذ هذا الخرق صورتين : الأولى هي حرمان الفرد من الاسم بالرغم من ثبوت صلة الدم، كما هو الشأن بالنسبة لحميدة الذي رفض أبوه الاعتراف به، لأنه أنجبه من جارية. و» ظل في نظر الجميع ابنا لاشرعيا. بالرغم من أن أخاه " الشريف" اعترف به، وحاول أن يقربه إليه ويدمجه في وسطه العائلي، فإن حميدة رفض كل ذلك، وظل خارج دائرة العائلة الشريفة، مصرا على ألا يعترف بشرف أحد « (14). وتتجلى الصورة الثانية في منح الاسم بالرغم من غياب صلة الدم بالأب. ويجسد هذا الصنف الأبناء الذين تبناهم حميدة : علي الرندي ونزهة ويوسف (بوسبعة). فحميدة الرندي منح هؤلاء اسمه بالرغم من أنهم ليسوا من صلبه .

- الحرمان من الاسم : ويتجلى في إقدام يوسف بوسبعة على تزوير وثائق تنزع اسم الرندي عن أخويه علي ونزهة. ويقول على « وليس هو شيبوب] الذي هيأ الشهود والوثائق لإثبات أن والدي لم يكن له سوى ولد واحد من دمه هو بوسبعة، وإنني أنا بالتالي ابن متبنى، أمي " شيخة" من الكريمات، كما أن نزهة متبناة بدورها، أمها رقية السوسية « (15). ويقول في حوار له مع يوسف : « لكنك حرمتنا، نزهة وأنا من الأبوة !. يجيب يوسف بصوت مسموع :

- أبوك يا أستاذ موجود في قلعة السراغنة، وكذلك أمك لاتزال في الكريمات، وأم نزهة لا تزال حية في آسفي، هل نكذب أميكما ونصدق من تسميه أباك ؟ عيب !

- اختلقت لنا آباء وهميين يا مجرم !» (16)

- التخلي عن الاسم والهوية بشكل إرادي. وقد جسد هذا الموقف علي الرندي وولد النية. ذلك بأنهما حين عزما على الهجرة السرية (الحريك) أقدما على إحراق وثائق إثبات الهوية. يقول علي : «تخلينا عن بطاقة التعريف، فإما أن نموت نكرات أو نبعث كرماء، لانريد أن يتعرف علينا أحد بشكل

رسمي « (17)

3- العلاقة بين دال العلم ومدلوله في"نساء آل الرندي "

يمكن التعامل مع اسم العلم باعتباره علامة لسانية مؤلفة من دال ومدلول، وتحيل على مرجع (شخص)، محدد مما يجعلها تختلف عن الإشاريات كالظروف وأسماء الإشارة والضمائر... وتتسم العلاقة بين دال هذه العلامة ومرجعها بالتنوع، إذ تمتد من الاعتباط التام إلى التعليل والتبرير. ونحن نعتقد أنه إذا كانت العلاقة بين الدال والمدلول في العلم في الحياة اليومية تميل عموما إلى الاعتباط، فإنها تميل في المتخيل الأدبي إلى التعليل. ذلك بأن الروائي لا ينتقي أسماء شخصياته بشكل تلقائي، بل يجنح إلى شحنها بالإيحاءات الرمزية والإيديولوجية .... وقد حفظ لنا تاريخ الأدب التردد الذي كان يخامر الكتاب الكبار أمثال إميل زولا بخصوص انتقاء أسماء شخصياتهم. ويقوم هذا التعليل على مجموعة من الطرائق نذكرمنها :

- **التناسب بين الدال والمدلول :** وتتجسد هذه الطريق في اسم بوسبعة. فهذا الاسم يبدو معللا داخل الحكاية، إذ اضطر السارد لتبريره إلى إيراد محكي يربط بين الظروف التي ولدت فيها هذه الشخصية، والاسم الذي أطلق عليها. بل إن هذا المحكي يكثف الأدوار العاملية والثيمية التي ستضطلع بها هذه الشخصية. يقول بوسبعة عن ميلاده : « بعد سبعة أشهر وضعتني أمي في غرفة باردة كانا يكتريانها في بيت من سبع غرف وطابقين، تحتل كل غرفة منه أسرة صغيرة أو كبيرة، لكن فقيرة مثل أسرتنا. كانت في غرفتنا كوة نطل منها على سبعة رجال... ولدت في اليوم السابع، في الشهر الهجري السابع، في الغرفة 7 التي تطل من كوة فقط على سبعة رجال، بعد الشهر السابع من الحمل (...) بعد سبع صرخات حادة « (18) . وتحكي أمه لأبيه عن حملها ليلة ميلاده : « لما أخرجه العفريت العملاق من بطني قال " ها بوسبعة، مرحبا بك يا عفريت بوسبعة ، نسميه بوسبعة، والله وسبعة رجال، يتولون أمره ! رد الأب] خائفا. وقالت أمي في سرها : ستصيبه وتصيبنا معه سبع مصائب « (19)

- **المفارقة الدلالية :** لقد سمى حميدة بوسبعة حين تبناه باسم " يوسف". وهو اسم ذو إيحاءات دينية ورمزية، إذ تحيلنا على النبي يوسف الذي كاد له إخوته حسدا، لأن أباه كان يوثره عليهم. فيوسف النبي يجسد إذن نموذج الضحية في صراع بين الإخوة. على أن يوسف بوسبعة في صراعه مع إخوته نموذج المغتصب. فقد جردهما من إرثهما المادي (الإرث) والرمزي (الأصل والاسم). بل إنه لم يتردد حتى في العبث بجسد أخته نزهة التي اتخذها خليلة، واستأثر بجسدها الفاتن إلى أن ترهلت، فلفظها، وعوضها بسكرتيرة شابة لا تقل عنها جمالا. يقول السارد عن هذا : « أما يوسف الشهير

ببوسبعة، فإنه حين اكتشف أن نوز أخته الشقيقة من رقية السوسية وحميدة،، فإنه احتفظ بها عشيقة ولم يذرف ولو دمعة واحدة « (20) . هكذا فإن العلاقة بين يوسف النبي ويوسف بوسبعة علاقة مفارقة، تضلل القارئ وتخيب أفق انتظاره.

- **تعديل الدال وأثره على المدلول :** يمكن أن يخضع دال العلم للعديد من التعديلات كالتصغير والترخيم والتحريف... التي يكون لها أثر على المدلول. فتصغير الاسم قد يدل على» الاستلطاف والاستظراف، كما قد يدل على التحقير والتشهير، وذلك حسب السياقات والمواقف. هكذا يؤشر تعديل دال الاسم على طبيعة العلاقة بين الشخصيات. فهذا يوسف بوسبعة يدعو "عشيقته " نزهة " نوز". لكنه لما قضى منها وطره وفكر في التخلص منها، وجد أنها لا تستحق هذا الاسم. يقول في أحد مونولوجاته : « هذا النوع من اللباس لم يعد يلائمها، لم تعد نوز، لم تعد سوى نزهة « (21)

وقد وظفت هذه التقنية أيضا في الحديث عن شيبوب، ذلك بأن موظفي البلدية يدعونه " شي"، وهو اسم فيه من السخرية والتندر بمقدار ما فيه من الإيحاءالرمزي. فهو يحيل من جهة على الدور الذي تقوم به هذه الشخصية في الحكاية. فقد حولها بوسبعة إلى " شي (ء)" أو " أكسسوار" من الأكسسوارات التي يوظفها لقضاء مآربه. ويحيل من جهة ثانية على التشوه الذي لايسلم منه كل من عاشر بوسبعة. وهو تشوه يتجاوز الذات إلى الاسم.

ونجد نموذجا لهذا التعديل الذي يلحق دال العلم كذلك في الحوار الذي دار بين علي الرندي وعائشة الضاية، عندما حاولت أن تذكره باسمها. قال : « عشو ...عويشة ... الجفاف أو عبوش الجراد ؟ أعرف ...آه ... أعرف واحدة اسمها عويشة الطوبيس... كانت في سعة هذه الحافلة وعمرها «.(22) إن الاسم هنا قد غدا موضوعا لممارسة العنف الرمزي. فعلي الرندي الذي اختار العيش على هامش المجتمع، وخارج إرغاماته الاجتماعية وإكراهاته الأخلاقية، يتصرف بعدوانية تجاه كل من حاول أن يشده إلى فضاء الاجتماع، وقد ترجم هذه العدوانية - كما يتضح من القولة السابقة - بواسطة العبث بالاسم والسخرية منه. ويظهر هذا العنف الرمزي في الرواية من خلال استحداث ألقاب للشخصيات. فموظفو البلدية يسمون نزهة مدام بونجور، ساخرين من البروتوكول اليومي الذي يؤديه شيبوب بين يديها في بهو البلدية. ويدعو شيبوب العجوز الذي يسخر منه ب " السي النقابة "...

يتأكد لنا بعد هذه المقاربة الموجزة والمتسرعة لاسم العلم في رواية " آل الرندي " أهمية دراسة نسق هذا الاسم في النص الروائي. فنسق التسمية عند شغموم يعكس أزمة الذات في بحثها عن الهوية، وصراعها ضد الاستلاب الفكري والحضاري والمسخ في ظل نظام اجتماعي واقتصادي يقوم على القهر

والإقصاء. كما أن هذا النسق يعكس لنا تناقضات المجتمع، ويبرز المفاصل الاستراتيجية التي يقوم عليها ... ينضاف إلى هذا أن التسمية تجسد اختيارات الكاتب الفنية والجمالية والأسلوبية .

تركيب

هكذا نخلص إلى أن أعلام الشخصيات في النص الروائي سواء كانت من وضع الكاتب أو مستعارة من النص الثقافي والتاريخي العام، تساهم في تشكيل دلالة العمل وفي إغناء رمزيته. فاسم العلم يساهم في تحديد جنس الشخصية وسنها وانتمائها الثقافي والاجتماعي والجغرافي، ومن ثم فهو يساهم في توجيه الأدوار العاملية والثيمية والخطابية التي تسندها. على أن اسم العلم لا يدل داخل الملفوظ فقط، بل يدل كذلك على محفل التلفظ، أي أنه يستضمر في عمقه اقتناعات واضعه ومعتقداته والقيم التي يود التعبير عنها... وإجمالا فإن اسم العلم في العمل السردي يحمل رؤية للعالم ومن ثم فهو يشكل زاوية ممتازة لملاحظة قيم المجتمع وكيفية اشتغالها.

الهوامش

1- الميلودي شغموم : "نساء آل الرندي"، يناير 2000 -2 - شجرالخلاطة، 1995 ، ص 31

3- R Barthes : Analyse textuelle d'un conte d'E Poe , in Sémiotique narrative et textuelle, Larousse , 1973 , p. 34

4- إن مؤسسة الحالة المدنية تلزم واضع الاسم باحترام جملة من الاعتبارات الأخلاقية والاجتماعية واللغوية... 5- انظر على الخصوص رواية " شجر الخلاطة"، وانظر ما كتبه محمد أمنصور عن هذه الرواية في كتابه : " خرائط التجريب الروائي" 1999 ص 107 - 120

* لقد كتبت هذه المقالة قبيل صدور روايته الأخيرة " الأناقة" ، دار الثقافة ، البيضاء 2001

-6 Jean Molino : Le nom propre dans la langue, in Langages n 66 Juin 1982 p 5

7- تتوزع هذه الأمكنة حسب ما أحصينا كالآتي : المغرب 45 إشارة ، أروبا 17 ، أمريكا 3 ، آسيا 2 . وقد قام إحصاؤنا على ورود المكان في النص لا على تردده.

8- نفسه ص11 - 9 - نفسه ص5- 10 - نفسه ص 24 - 25 - 11 - نفسه ص 99 12 - نفسه ص 39

13-نفسه ص 89 – 90 - 14 - نفسه ص 39 - 15 - نفسه ص 167 - 16 - نفسه ص 170 - 17 - نفسه ص 11

18- نفسه ص 92 - 19 - نفسه ص 95 - 20 - نفسه ص 126 - 21 -نفسه ص 145- 22 - نفسه ص 154